رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

فى هـذه الرحلة يصف لنا الشيخ فى أسلوبه الخاص رحلته إلى الحجاز ، وزيارته قبر الرسول ، وأداءه مناسك الحج ثم عودته

وقد دعاه إلى الحج وهون عليه الأمر ، صديقه الوزير رجب باشا وقد كان أميرا للحج . فأذعن الشيخ ، ويلاحظ الشيخ أن رجب باشا كله « بالترك المرب » وعرض عليـــه أن يستصحبه فقبل

ثم يصف لنـا الشيخ وصوله إلى المدينة ، وزيارته الحجرة المطهرة ثم مكة ، ومناسك الحج . وقد اجتمع وهو فى مكة بالشيخ محمد التافلاتى (مفتى الحنفية) فى القدس ودعاه إلى مرافقته إلى القاهرة فاعتذر

ويستدل من الرحلة ، على عدد من الأمور الشيقة ، فمنها أن الحج المصرى كان قائما فى ذلك العهد ، وأنه والحج الشامى يؤلفان أهم موكبين من مواكب الحجاج ، وكيف كان الحرم فى مكة يفتح فى الليل خصيصا لأمير الحج الشامى ، وقد فات الشيخ استمتاعه بهـذه الفرصة النادرة لانشغاله فى الوضوء ، إذ لم يكد يستعد لدخول الحرم فى الليل حتى أقفلت أبوابه

وكان أمير الحج ، قد أقام مولدا وفرق الدنانير ، ويصف لنا الشيخ تأثراته فى المدينة ومكة ، وقد أخذه الحال ، حتى كاد يتأخر عن الركب الراجع بعد الحج

ويظهر من وصف الشيخ أن قوافل الحجاج كانت تحرسها الجنود ، ويصفهم بالجردة ، ويقول إن تأخر وصولهم أقلق الحجاج ، ولما أطلوا ، عادت إليهم طمأنينتهم

كما يصف لنـا الشيخ ما فعلته الأمطار فى (الحسا) من اضطراب ، ونقص فى الجمال

وإننا نترك الآن للشيخ البكرى أن يصف لنا رحلته الشيقة فى حجه المبرور :

وبعـد : فيقول أفقر الأنام وأحقر الخدام بكثرة الآثام مصطفى بن كمال الدين بن على الصديقى ، لما كان الحج على المستطيع من الأمة فرضا ، كانت النفس تشوق لأدائه لتكون ممن الحق أرضى ، وتتشوق لزيارة تلك الأماكن ، التى إليها القلب متحرك غير ساكن ، لكن عدم وجود الاستطاعة لها مانع ، وكلما هم العبد أعجزته الأقدار وأقعدته الموانع ، إلى أن فتح الحق الوهاب بابا لزيارة البيت المقدس المستطاب ، وذلك عام (١١٢٦هـ - ١٧١٤م) وذكرت ما اتفق لنـا فى هذه الخطرة فى الرحلة المسماة « بالخمرة المحسية فى الرحلة القدسية » (١) ثم عدنا إلى الديار ، وأقمنا فيها مدة بحكم الاضطرار ، فهاجت بنا دواعى الشوق ، ودبت فينا نشوة التوق ، إلى تلك الآثار المقدسة وثارت الأشجان إلى لقاء الإخوان فى سنة (١١٢٦ هـ - ١٧١٤ م) وأودعت ما وقع هذه الكرة وما جرى هذه المرة ، فى كراسة وسميتها (الخطرة الثانيـة الأنسية. للروضة الدانية القدسية) وكربنا على الأوطان ، وأعددنا أنفسنا من القطان ، فى شهر رمضان سنة (١١٢٧ هـ) وأقنا إلى شهر رجب من شهور عام ثمانية وعشرين ، فحرك الحق سبحانه الهمة إلى زيارة عـلم الشرق وما حواه العراق من السادات المتكاثرة . ولما وصلنا إلى محروسة حلب لم تقسم الزيارة لأمر مهم ، فقصدنا زيارة سلطان الزهاد سيدى إبرهيم بن أدهم ، ومكثنا فى طرابلس الشام نحو سبعة أشهر وأيام ، وتراجمنا للآثار المقدسة ، لعلاقة لا تنسى ، وضمنت بعض ما شهدناه فى جزء سميته (الحلة الذهبية فى الرحلة الحلبية) (٢) وعطفنا على المرابع السامية الشامية ؛ عام ثلاثين راجين القرب من رب البرية وازداد وارد الاذكار والأفكار ، كيف الوصول إلى سماء الحجاز الرفيع المنار ، وكان عام ثمانية وعشرين توجهت همة الأخ عبد الكريم القطان ، إلى الحج الشريف ، فقال له الأخ ذو الود والوفا الشيخ مصطفى ابن عمرو ، أنت حججت واجعل هذه عن أخيك فلان ، ليحصل

---

(١) نشرنا هذه الرحلة والخطرة الثانية الأنسية فى كتيب ، مع رحلة عبد الغنى النابلسى ، ورحلة الشيخ مصطفى القيمى الدمياطى فى سنة ٤٧ بعنوان (رحلات إلى دار السلام)

(٢) نشرت فى أعداد مجلة الرسالة

لك الثواب سبعين حجة كما جاء فى بعض الآثار ، فقبل منه ذلك وقرأ الفاتحة وتوجه لذلك المقام ، نائبا عن الفقير فى رحلته ، وذكرت ذلك فى ترجمته المسماة (بالصراط المستقيم فى ترجمة الأخ الشيخ عبد الكريم) ولما عدت للديار ودخلت سنة (١١٣٠ هـ) وقرب زمن مسير الحاج ، أنشدنى المجذوب الشيخ أحمد بن سراج مطاوعيا ، ثم قال لى يا مصطفى « أنا مرادهم يرسلونى إلى الحج فى هذا العام » ففهمت إشارته ومقصوده ، فى هذا الكلام ، فقلت له « أرسلنى نائبا عنك » فقال « أتروح »؟ فقلت « نعم ولو ان الروح تروح » فقال « إن رحت أرسلك مكانى » فقلت « عسى أن يدنو التهانى » . ثم غاب وحضر بعد مضى جملة أيام . وجاءنى قائلا « مرادنا نرسلك إلى الحج فى هذا العام » فقلت « حفظك الله السلام ، هذا هو القصد والمرام » . وكنت ذهبت لوداع الحاج قبل هذا العام بعامين أو أكثر ، وأنشدت حين شهدت الهوادج والأجمال تسير بلا مين للسيد الأكبر :

زجروا العيس نحو وادى العقيق ليت شعرى هل لى له من طريق

ولما رأيت (الأجمال) سائرة تخب الأرض خبا ، والقلوب طائرة ، والأقدام تطوى السباسب خبا ، تزايدت منا الحسرات ، وبعد العود من التوديع ، قيدت هذا القصيد الآنى مخافة أن يضيع ، وأنشدتها الرفيق الأعز الأخ الشيخ عبد الكريم الجمل فهاج وماج ، ولفصل ما عنده أجل ، وبكى واستبكى ، والمدامع اهمل ، وهى :

أبروق لاحت بتلك البوادى أم بواد فى حى سلمى بوادى الخ

اجتماعه بصديقه رجب باشا والى الشام وأمير الحج :

« وكنت لما اجتمعت بجناب الدستور الأكرم ، والمشير الأفخم محبنا الأعظم ، والى الديار الشامية ، وأمير الحج فى هذه السنة السنية ، رجب باشا ، حبى من الخيرات ماشا ، سألنى « هل حججت ؟ » قلت « لا » فعرض أن نصحبه فى الزيارة ، وصرح فى كلامه التركى المعرب الآن ، بعد التعريض والإشارة ، فأحلنا الأمر على الإرادة ، ورجونا حجا مبروراً لنيل السعادة

عزم الشيخ البكرى بحج أيضا :

« ولما توجهت همة العم ، زاد السرور وزال النعم ، وكنت أرى فى قبل ذلك من أحسب مصرفه على منه مآلا . وسألته الرفق والإرفاق ، فأجاب بالوفاق والإشفاق ، وأخبرت أن الوزير المشار إليه . . . أحد العقير فهان الصعب عليه ، وعند الحزم والعزم على الرحيل ، دعانا قطب رحى الوجود ، شيخنا صاحب الكشف الأسنى ، حسب الشيخ عبد الغنى النابلسى ، وجميع من عنده . ممن صحبه وفده

زيارة الشيخ وقبور الأجداد قبل التوجه الى الحج :

« وزرنا صفوة العارفين سلطان العارفين فى بحر الوحدة والعارفين سيدى محيى الدين ، وتوجهنا بأهل السفح ، ثم زرنا الوالد والأجداد الكرام فى مقبرة الشيخ أرسلان ، وتممنا الزيارة بشيخنا المرحوم الشيخ عبد اللطيف ، وختمنا بمرقد سيدى عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق ، وهذا المرقد على التحقيق لجدنا سيدى محمد ابن عبد الرحمن المعروف بابن أبى عتيق ، وسبب ذلك أن محمد بن عبد الرحمن هذا ولد له عبد الله وله عقب ، فاتفق أن عدة من أولاد أبى بكر رضى الله عنه ، تناضلوا ، فقال أحدهم « أنا ابن الصديق » وقال الآخر : « أنا ابن ثانى اثنين » وقال آخر : « أنا ابن صاحب الغار » وقال محمد بن عبد الرحمن : « أنا ابن أبى عتيق » فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم . ذكره ابن قتيبة فى تاريخه . وأما عبد الرحمن الجد الأعلى فمات فجأة سنة (٥٣ هـ أو ٥٨ هـ) وحمل إلى مكة ودفن بها ، ذكره الشيخ محمد بن عبد الدائم البرماوى فى « شرحه الزاهر البسام فيما حوته عمدة الأحكام »

« وبعد إتمام الزيارة وتوديع الأهل والأحباب الأخيار توجهنا مع العم إلى قبة الحاج ، عشية النهار ، وبتنا فى سرور وبسط تام ، بين رفقة أعزة وأحبة كرام »

فى طريق الحج :

« وفى صبيحة اليوم الأزهر الميمون ، سرنا إلى (الكسوة) ونزلنا قريبا من تلك العيون ، وساروا بنا ليلة السبت إلى (الزريب) فوصلناه وأقمنا فيه أياما بعيش خصيب ، وفيه شرعت

فى مسودة هذه الرحلة المباركة المسماة (الحلة الحقيقية لا المجازية فى الرحلة الحجازية) . ولم تزل نسير ، والحق سبحانه يهون المسير ، إلى أن وصلنا (معان) والحاج كما يقال معان ، والزفرة فى وهج ، تصلى بحرها المهج

وأقمنا يوما بها ثم سرنا نحو تلك الرحاب نرجو الأمانا
نتراءى على الوشاة غراما كى يمر الزمان نأتى المكانا
ولديه يلتذ سمعى بمغنى فيه نغنى عن الشوادى يدانا

« وكنا نشتغل فى المحفة ببعض أذكار وأوراد ، تدنى الأمداد وتبعد الأنكاد ، ولما وصلنا (العلى) سبحنا العلى الأعلى ، وأهدينا الفواتح لمن حلها من أهل التكريم ، وخصصنا بفاتحة الأخ الشيخ عبد الكريم ، فإنه دفن بها بعد العودة من الحج المبرور ، نائبا عن الفقير ، كما قدمنا قريبا بهذه السطور

« وما زلنا نسير إلى أن وصلنا منزلا نلنا به غاية الابتهاج ، إذ يلاقى فيه أهل المدينة الحجاج ، وفى عشية تلك الليلة رأى الناس طلائع الأنوار ، من ناحية السيد السند الحبيب الطبيب المختار ، وحج الحجيج لرؤية ذلك ، بالصلاة والتسليم على زين المالك ، ولم نزل نحول من أعلى وأنزل ، نطوى البيداء طى ، طالبين وادى العقيق ، إلى أن لاحت للعين لوائح القرب ، وطاب للشارب من دموعه هناك الشرب ، وحق انا أن نلثم أخفاف الجمال ، التى حملتنا إلى أن شاهدنا هذا الجمال . وفى هذا المعنى أنشد الواله المعنى :

وإذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام

وحق للزائر ، أن ينشد مكان تلك الدوائر :

فياساكنى أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

« ولما عجنا على وادى العقيق ضحى ، سالت الآماق الجامدة ، واضطرمت الأنواق الخامدة ، وأنقينا العين على شهود العين ، وحبذا عين تنفق فى عين ، ونزلنا إذ رأينا على البعد المنارات النيرة ، والبناء المدهش نوره وبروق آثاره محيرة ، فألقينا عن الرواحل من فرط المسرة أنفسنا ، وقلنا للأنفس ، هذا الأنفس الذى من أنفسنا وأنفسنا ، ونزولنا عند رؤية الآثار من السنة لا يقال فيه لبس ، لأنه أقر على ذلك سيد الأكوان وقد عهد قيس . قال الفاكهى « فى حسن التوسل فى زيارة أفضل الرسل » فى الفصل التاسع والأربعين ، أى من الآداب أن ينزل عن راحلته إذا رأى المدينة ومنائرها تواضعا لله ، وإجلالا لنبيه ، صلى الله عليه وسلم وأن يمشى إلى المسجد إذا استطاع بلا مشقة شديدة ، وإلا مشى قليلا ، لأن وفد عبد قيس لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم نزلوا عن الرواحل ولم ينكر عليهم وكانوا نزلوا بإلقاء أنفسهم قبل أن ينخوها ، فإلقاء النفس بحيث لا يتأذى ولا يؤذى الدابة وغيرها حسن فيما يظهر

ونقل أن العلامة أبا الفضل الجوهرى ترجل عند قرب بيوتها باكيا منشدا :

ولما رأينا ربع من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار عشى كرامة لمن حل فيه أن نلم به ركبا

انتهى . وهذا الكتاب يعزى للمحقق المقدم الهيتمى ، وكتابه « الدر المنظم فى زيارة القبر المعظم » . وألقينا فى الخيام عصى التسيار ، وقلنا ما بعد العشية من عرار ، وبادرنا إلى الزيارة ، فرحين بمن حللنا داره

للمقال بقية

سامح الخالدى

التفسير الواضح

للأستاذ محمد محمود حجازى

الجزء الأول — والثانى وستظهر بقية الأجزاء تباعا إن شاء الله

وهو يمتاز بحسن العرض ووضوح العبارة مع التبويب والفهارس والخلو من الاصطلاحات الفنية .

وثمن الجزء الواحد خمسة قروش عدا أجرة البريد والجملة سعر خاص

ويطلب من المؤلف ، ومن مكتبة وهبة شاوع إبراهيم باشا ومن مكتبة المياوى بأسكندرية